

في الليلة الظلماء يُفتقد البدر.. في ذكرى المولد النبوى



الحمد لله والصلاه والسلام على سيدنا رسول وآل وصحبه ومن والاه وبعد

ولد الحبيب محمد (صلى الله عليه وسلم) عام ٥٧٠ ميلادية... في فترة كثيبة مظلمة من تاريخ البشرية بلغت فيها الحضارات السائدة في ذلك الوقت ذروة الجبروت والبطش والفساد والظلم واستعباد البشر. في الشرق كانت حضارة الفرس الذين كانوا يعبدون النار ويقدسونها، ويقسمون البشر إلى طبقات متفاوتة يستبعد بعضها بعضًا، وفي الغرب كانت الدولة الرومانية التي تحكم الشعوب بالحديد والنار، وتنهب خيرات الأمم... وبلغت الطبقات الحاكمة الذروة في الشهوات والملذات، والذل والهوان لسائر الشعوب، حتى إنها كانت تتلهي في الملاعيب والمسارح بمصارعة الأسود الجائعة وافتراضها للبشر العزل المستضعفين.

أما العرب فكانوا في جاهليتهم متفرقين مبعثرين، بعضهم يخدم الفرس والبعض الآخر يخدمون الرومان، وتدور بينهم الحروب الطاحنة لعشرات السنين لأسباب تافهة تهلك الحرج والنسل، مع عقيدة وثنية فاسدة تعبد الأحجار وتقدس الأصنام والأفلاك.

ولقد لخص ذلك المؤرخ الإنجليزي (ويلز) حين قال [لم يشهد العالم في تاريخه فترة ظلم أسوأ ولا أكثر يأساً في المستقبل مثل القرن السادس الميلادي حتى ظهر محمد(صلى الله عليه وسلم) نبي المسلمين].

وسط هذا الظلام الدامس ولد خير الخلق ونبي الحق وخاتم المرسلين محمد بن عبد الله (صلى الله عليه وسلم) ليصنع المعجزة الكبيرة **وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ** [سورة الأنبياء: 107]. فصنع من العرب - بتعاليمه القوية - (خير أمة أخرجت للناس).. سلامة في العقيدة .. صحة في العبادة ... سمواً في الأخلاق، ورقياً في المعاملة **(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُوْنُوا قَوَّامِينَ بِالْقُسْطُ شَهَدَاءَ اللَّهَ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوْ الْوَالِدَيْنَ وَالْأَقْرَبِيْنَ إِنْ يَكُنْ عَنِّيْا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَى بِهِمَا فَلَا تَتَسْعَى الْهَوَى أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا** [المساء: 135]:

وقد وضع صلى الله عليه وسلم آداباً وضوابط تقوم عليها العلاقة مع المخالفين في العقيدة ، والتعامل معهم، وهي آداب وضوابط مبنية على العدل وعدم الظلم ، كما قال الله تعالى ﴿ لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الدِّينِ لَمْ يُفَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾ [المتحنة : 8].

وفي سنوات قليلة انطلق المسلمون بدعوة الحق إلى الشعوب في الشرق والغرب في آن واحد يدحرون الإمبراطوريتين الفارسية والرومانية؛ لينضوي الجميع تحت راية الدين الحق ويعلو العدل وتتحقق المساواة بين أجناس البشر.

ولما تحرر الإنسان من كافة أنواع العبودية؛ انطلقت طاقاته وإبداعاته، فكانت الحضارة الإسلامية العظيمة التي سادت العالم بعد ذلك قرونا عديدة (في دولة الخلافة الراشدة، ثم الخلافة الأموية، ثم الخلافة العباسية ثم الخلافة العثمانية مروءاً بحضاررة الأنجلوس)، ومنها انطلق النور إلى دول القارة الأوروبية المظلمة.

ويدور الزمان دورته وتنتقل قيادة البشرية إلى الغرب المادي – بعد ما اقتبس أساس نهضته من حضارة الأنجلوس – متحرراً من قيد الكنيسة وخرافاتها – ثم ظهر الطغيان والاستعلاء والاستغلال لمعظم شعوب الأرض؛ فاحتلَّ البلاد ونهب الثروات، وقسم العالم إلى مناطق نفوذ ، ثم دارت حروب عالمية طاحنة قتلت ملايين البشر، ودمرت فيها العواصم والمدن.

والاليوم تجتمع حكومات الغرب "الظالمة" على أمتنا الإسلامية المنكهة وتتداعى علينا (كما تتداعى الأكلة إلى قصتها)، كلٌّ يريد نهب خيراتها وثرواتها واحتلال أراضيها وطرد شعوبها، فنهبوا (المليارات) بل (التريليونات) – قهراً وإذلاً – وهام يضربون الأمة الإسلامية الآن في أعز بقاعها وأقدس مدنها (القدس وفلسطين المحتلة) ويريدون تحويل (غزة الأبية الي) (ريفيرا) للهُوَ والمجون، ولا يأس أن يباد أهلها جميعاً أو يهجروا عن بكرة أبيهم.. فهام الصهابينة الملائين ، والصلبيين الحاقدون يلقون على غزة من القنابل والصواريخ ما يعادل سبع قنابل ذرية، صناعة وهدية من أمريكا وحكومات الغرب المتعصب، يلقونها على شعب أعزل فقير... فيقتلون أكثر من سبعين ألفاً من المدنيين الأبرياء، ويصيرون ربع مليون جريح من الأطفال والنساء والشيوخ .. وتهدم كل بيوت غزة ومساجدها ومستشفياتها ومدارسها وجامعاتها ومزارعها وطرقاتها وآبارها ومرافقها وكل آثار الحياة فيها.

لقد سقطت كل مزاعم الغرب عن الحرية والديمقراطية وحقوق الإنسان، وعطلت كل المنظمات الدولية: الأمم المتحدة، ومجلس الأمن، ومحكمة العدل الدولية، والمنظمات الحقوقية والإنسانية. وأسفر العالم العربي عن حقيقته العنصرية المتوجهة التي تستبيح كل المحرمات في سبيل العلو والسيطرة والتحكم .

ويغلف ذلك الفجور – وبكل وقاحة – بخلاف ديني مزعوم.. فهم يقتلون باسم رب..!! ويستبيحون الأرض باسم (إسرائيل الكبير)، ويأتون بالبقرات الحمراء، ويسرون في هدم الأقصى ومقدسات المسلمين باسم بناء (الهيكل)، استعداداً لنزول مسيحهم المزعوم!

لقد أفلست الحضارة الغربية، وافتضحت حقيقتها الشيطانية اللا أخلاقية، حتى أمام شعوبها وشبابها الذين تم تضليلهم عبر عشرات السنين من الريف والدعائية الصهيونية الكاذبة.

وفي الوقت نفسه ظهرت حقيقة أهل فلسطين الأصلاء الطيبين المؤمنين الطاهرين الأنقياء.. الصابرين على ما أصابهم من الخذلان واللاؤاء.. المتمسكون بأرضهم ومقدساتهم وميراث أجدادهم، والبازلين دماءهم وكل ما يملكون فداء لعقيدتهم وإسلامهم.

وظهرت حقيقة هذا الدين العظيم .. حين تسأله الناس في أنحاء العالم كله عن حقيقة هذا الإيمان العميق الذي وهب شعب فلسطين كل هذا الصمود العجيب ، والصبر الجميل ، وتحمل ما لا يتحمله بشر. إنه الإيمان الصادق، وعمق الصلة بالله عز وجل، التي تدفع إلى الرضا والتسليم، مع البطولة والمقاومة النادرة. إنها أخلاق النبي الكريم المجاهد والصحابة الصابرين المجاهدين.

وظهر الفارق الضخم بين (الإسلام العظيم) الذي يحترم حقوق الإنسان بحق، ويصون دمه وماله وعرضه ويساوى بين البشر ويحقق لهم المساواة والعدل.. وبين (اليهودية المتعصبة) التي ترى أتباعها شعباً مختاراً فوق البشر، أو (الصلبية المتعجرفة) التي تريد إخضاع الناس جميعاً لسلطتها وجبروتها بالحديد والنار.

ولن يمر وقت طويل حتى ينتصر الحق ويندحر الباطل، وتعود الأمة العربية والإسلامية إلى أصل وجودها وسر قوتها ونهضتها وحياتها – ذلكم الدين العظيم : قرآن منزل من السماء، وسنة نبئها المعصوم صلى الله عليه وسلم – وتفيء البشرية التائهة الضالة إلى رسالة خاتم المرسلين؛ ففيها الخلاص من كل أوجاع البشرية ومظلمتها.



عقب الحرب العالمية الثانية زار القاهرة الفيلسوف الإنجليزي (برنارد شو) وذهب إليه الصحفيون والأدباء والمصلحون وال فلاسفة ، وسألوه أيها الفيلسوف العظيم.. هل من مخرج من تلك الحروب الطاحنة التي أكلت الأخضر واليابس؟ فقال قوله الشهيرة : [آه .. إن الفلسفات هي التي ضيّعت العالم.. ما أحوج العالم إلى رجل كمحمد ؛ كي يحل مشاكله المعقدة، ريشما يتناول فنجاناً من القهوة !].

يا أيها التائرون والحيارى من العرب والمسلمين...عودوا إلى دينكم الحق وتمسكوا به ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِبُو لِلَّهِ وَلِرَسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحِبِّيكُمْ ﴾ [الأنفال : 24].

إن العالم في حاجة إليكم حين تنادون بفكرة الإسلام وهي أقوى الفكر، وحين تدعون بدعوة الله وهي أسمى الدعوات، وحين تقدمون إليه شريعة القرآن وهي أقوم الشرائع. يا أيتها البشرية التائهة المعدبة.. هذه فرحة ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابَ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مَمَّا كُنْتُمْ تَخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنِ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ يَهْدِي بِهِ اللَّهُمَّ مَنِ اتَّقَعَ رَضْوَانَهُ سُبْلُ السَّلَامِ وَيَخْرُجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ يَأْدُنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ [المائدة: 15-16].

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

الدكتور صلاح عبد الحق

القائم بأعمال فضيلة المرشد العام لجماعة الإخوان المسلمين

الخميس 12 لربيع الأول 1447 هـ؛ الموافق 4 سبتمبر 2025 م